

## الإمام الخميني وصرخة الوحدة الإسلاميّة



ومن رجال الإصلاح وأرباب الوحدة الإسلامية، الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية في عصرنا هذا، فإنّه منذ البداية كان يدعو المسلمين إلى الوحدة، ودوّت صرخته في العالم في مظاهرات مليونية تهتف: (يا أيّها المسلمون اتّحدوا اتّحدوا).

ومن كلماته الخالدة:

«لماذا لا يهتمّ المسلمون وحكوماتهم بالأحاديث النبويّة الكريمة التي جاء فيها: (المسلمون يدّ على مَنْ سواهم) ؟ لماذا لا يوجد بينهم إلاّ الاختلاف المستمرّ، إنّ مشكلة المسلمين هي نشوب الاختلافات بينهم بعد الحرب العالمية، فقد وضع المستعمرون خطّة الاختلاف لهم بعد أن شاهدوا قوّة الإسلام ففصلوا الحكومات الإسلامية عن بعضها، وألقوا الخلاف بين المسلمين وجعلوا الحكومات الإسلامية كلّ واحدة عدوّة للأخرى، يجب حلّ هذه المشكلة في يوم العيد وفي يوم عرفة في بيت الله، حيث ينبغي أن يجتمع الحكّام في مكّة المكرمة، لإطاعة أمر الله تبارك وتعالى وطرح المشاكل المتعلقة بهم والتغلّب عليها، وإذا تمّ هذا الأمر لا تتمكّن أيّة قوّة من مواجعتكم».

«إنّ القوى الكبرى درست خلال سنوات طويلة كلّ أوضاع المسلمين، أجرت دراسات على الأفراد والجماعات وعلى أراضينا وغاباتنا وخرجت بنتيجة، هي: أنّ الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقف بوجه هذه القوى في جميع المجتمعات، وراحت هذه القوى تخطّط لمجابهة الإسلام عن طريق الحكومات الفاسدة، وأوعزت إلى هذه الحكومات أن تثير مسائل العصبية العنصرية بين المسلمين، فجعلت العرب مقابل الفرس والأتراك، وجعلت الفرس مقابل الأتراك ومقابل الآخرين، وهكذا أوقعت بين القوميات المختلفة، ولقد أكّدتُ مراراً إنّ هذه النعرات القومية هي أساس مصيبات المسلمين، إذ أنّ هذه النعرات تجعل الشعب الإيراني مقابل سائر الشعوب المسلمة وتجعل الشعب العراقي مقابل بقيّة المسلمين، وهذه المخطّطات طرحها المستكبرون للتفريق بين المسلمين»[1].

«النعرات القومية التي تثير العداء بين المسلمين وانشقاق بين صفوف المؤمنين تعارض الإسلام وتهدّد مصالح المسلمين، وهي من مكائد الأجنبي الذين ليزعجهم الإسلام وانتشاره»[2].

«القوى الكبرى تستهدف فرض السيطرة على المسلمين ونهب أموالهم وثرواتهم الطائلة، وبثّ التعصّب القومي في المنطقة، أحد المخطّطات التي تنفّذها تلك القوى منذ أمد بعيد لتحقيق أهدافها. لقد جاء الإسلام ليوحّد بين صفوف أبناء العالم ويزيل الفواصل بين العرب والعجم والأتراك والفرس، وليؤلّف بين قلوب أبناء الأُمّة الإسلامية على ظهر المعمورة، وليهزم كلّ قوى الاستكبار ويحيط مخطّطاتها. القوى الكبرى تريد فصل المسلمين عن بعضهم باسم القوميات التركية والكردية والعربية والفارسية، بل تريد خلق العداء بين هذه الشعوب، إنّ جميع المسلمين إخوة متساوون متعاقدون، وعليهم الانضواء جميعاً تحت لواء الإسلام، وراية التوحيد»[3].

«صدّام جعل العروبة أساساً للتفاضل وهذه العروبة التي يدّعيها علق وصدّام مخالفة للموازين الإسلامية ومعارضة لضرورات الإسلام»[4].

«اليوم ونحن في رحاب تقارب جميع المسلمين في العالم، وتفاهم كلّ المذاهب الإسلامية لإنقاذ بلدانهم من براثن القوى الكبرى، الشيطان الأكبر أمريكا دعا فراخه لإلقاء بذور التفرقة بين المسلمين بكلّ الحيل والوسائل، وجرّ الأُمّة الإسلامية والإخوة في الإيمان إلى الاختلاف والعداء، ليفتح السبيل إلى مزيد من النهب والهيمنة... لقد أمر واحداً من أخبث العملاء الأمريكيين والشاه المقبور أن يجمع رجال إفتاء أهل السنّة وفقهائهم، ليفتوا بكفر الإيرانيين الأعزّاء، وفي ذات الوقت الذي تتصاعد فيه مساعي إيران الداعية لتوحيد الكلمة ورضّ الصفوف تحت لواء الإسلام والتوحيد بين جميع مسلمي العالم»[5].

هذا غيض من فيض كلمات الإمام في الوحدة الإسلامية التي دعى إليها حتى أواخر أيام حياته الجهادية.

«يا مسلمي العالم ماذا دهاكم؟! لقد استطعتم في صدر الإسلام بعددكم القليل أن تحطّموا القوى الكبرى، وتشيدوا صرح الأمة الإسلامية العظيمة. والآن وأنتم تقاربون المليار إنسان، وتمتلكون الثروات التي بمقدورها أن تشكل أكبر حربة في مواجهة العدو أصبحتم أذلاء ضعفاء» [6].

«الاتّحاد بوجه المستكبرين، وهذا الاتّحاد لا يخلق تجميعاً عددياً للطاقات فحسب، بل تخلق قوّة هائلة متفجّرة لا يستطيع الاستكبار العالمي أن يقف بوجهها، والاتّحاد فريضة دينية أكدّ عليها القرآن مراراً، وأهميتها تتصاعد في هذه المرحلة الزمنية التي يعيش فيها المسلمون متفرّقين مشتتّين تحت السيطرة المباشرة وغير المباشرة لعالم المستكبرين، الأقطار الإسلامية بعدد سكّانها البالغ مليار إنسان وبثرواتها الطائلة بما فيها بحار البترول التي تفيض الحياة في شرايين القوى الكبرى، قد حباها الله بأحكام القرآن وتعاليم النبي الأكرم العبادية والسياسية التي تحثّ المسلمين على الاعتماد بحبل الله ونبذ التفرقة والتمزّق» [7].

«نحن نريد أن تعيش جميع الأقاليم الإسلامية في جوّ تسوده أحكام الإسلام ويرتبط الشعب فيها بحكومته بروابط الوئام، ويعيش الجميع قلباً واحداً، وتضحى البلدان الإسلامية يداً واحدة كي لا تتعرّض بصر». لقد رأيت كيف استطاع الشعب الإيراني أن يهزم أعنى قوّة كبرى باتّحاده، ونحن نستهدف اتّحاد مليار مسلم في العالم، إذ لو اتّحدوا لما بقيت قضيّة القدس، ولا قضيّة أفغانستان ولا القضايا الأخرى. ولو كفّ وعظّ السلاطين عنّا شرّهم، وكفّوا أيديهم عن التعرّض لوحدتنا، فسنتصر إن شاء الله، وستنتصر القوى الإسلامية والبلدان الإسلامية. أسأل الله تعالى أن يعلي كلمة الإسلام والمسلمين وأن يمنّ على هذه الأمة بوحدة الكلمة» [8].

«هيا يا شعوب العالم المستضعفة جميعاً انهضي واستردّي حقّك ولا تخافي عريبات الأقوياء، لأنّ الله معك والأرض إرث لك، ووعد الله لا يتخلّف، أسأل الله جلّ وعلا أن ينصر المحرومين ويؤدّ كلمة أهل الحق» [9].

عود على بدء:

الوحدة في مفهومها اللغوي يقابلها الكثرة، كما يقابلها الإثنيانية، وتارةً يقابل الكثرة القلّة، ولازم الكثرة الاختلاف والتفرّق والتمايز.

وعند الحكماء والفلاسفة إنَّما الإثنينية والكثرة، لا بدَّ فيهما ممَّا به الاشتراك وممَّا به الامتياز، فكلُّ اثنين وكثرة لا بدَّ فيهما ممَّا به الاشتراك ومن الوحدة، كما لا بدَّ فيهما ممَّا به التمايز، فكلُّ واحد يمتاز عن الآخر، وإلاَّ لما كانت الإثنينية والكثرة. توضيح ذلك بالمثال: فإنَّ الاصبعين في راحة الإنسان إنَّما هما اثنان باعتبار أنَّ بينهما ما به الاشتراك وهي راحة اليد، فهما يشتركان فيها، كما بينهما ما به الامتياز كالطول، فأحدهما أطول من الآخر، فالكثير ينتهي إلى الوحدة، والأعداد تنتهي إلى الواحد، والأشكال والحروف تنتهي إلى النقطة، والنقطة بسيطة في جوهرها ومفهومها، وهي من الوحدة الحقيقيَّة - إن صحَّ التعبير -.

ثمَّ الوحدة مقول بالتشكيك، والكلِّي المشكك، له مراتب طولية وعرضيَّة، واختلاف المراتب بالأوليَّة أو الأولويَّة أو الشدَّة والضعف، فنهاية الوحدة هي الوحدة المطلقة الحقيقية التي لا نهاية لها، وهي في ذاتها سبحانه وتعالى، فهو الواحد الذي لا ثاني له، ولا ضدَّ ولا مثل ولا ندَّ له. والأحد الذي لا تركيب فيه، فما هيَّته إنَّسيته. فالوحدة المطلقة تتجلَّى في مقام الواحدية والأحدية في سبحانه وتعالى، فهو الواحد الأحد، وما سواه عزَّ وجلَّ، فإنَّ الوحدة فيه مجازية ومحدودة ومشوبة بالاختلاف والتركيب الحقيقي في ماهيَّته، والمجاز قنطرة الحقيقة، فمن الوحدة المجازيَّة نصل إلى الوحدة الحقيقية المطلقة. فما سوى سبحانه فيه الاختلاف والكثرة والإثنينية.

وفي كلِّ اثنين لا بدَّ ما بيه الاشتراك وما به الامتياز، فالوحدة المجازية في مقام ما به الاشتراك والكثرة الحقيقية في مقام ما به الامتياز. ولا بدَّ - باللابدِّيَّة العقليَّة - من الاختلاف فيما سوى سبحانه حقيقة. ففي الكون لا بدَّ من ضرورة الاختلاف الكوني، فلا بدَّ من النهار ليكون معاشاً، ولا بدَّ من الليل ليكون سكناً وسباتاً، ولا بدَّ من الفصول الأربعة، وما شابه ذلك من الاختلاف المنظَّم في هذا الكون الواسع.

وكذلك لا بدَّ من الاختلاف في المجتمع البشري، للوصول إلى الوحدة وما هو الأفضل والصواب، ففي الاقتصاد لا بدَّ من تضارب الآراء والأفكار حتَّى الوصول إلى الصحيح والسالم، وكذلك المجالات الأخرى في الحياة. ولكن لا بدَّ من الوحدة أيضاً، لمقتضيات الأحوال والظروف الخاصَّة.

وفي عصرنا الراهن ندعو المسلمين جميعاً - سنَّةً وشيعةً - إلى الوحدة الإسلامية، تجمعنا المشتركات - وما به الاشتراك - ومن أهمَّها في العقيدة أصل التوحيد والإيمان بخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله) وبكتاب الله الكريم، فإنَّ ربَّنَا واحد لا شريك له، ونبيَّنَا محمد (صلى الله عليه وآله)، وكتابتنا القرآن الكريم.

وقد أمرنا ﷻ سبحانه وتعالى أن نكون مع الصادقين في قوله:

﴿وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [10].

والصادقون هم أصحاب المنطق والبرهان، لقوله تعالى:

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [11].

فالمذاهب كلها تدعي أنها الفرقة الناجية، ولكن لا بد في المعتقدات والسلوك والإيمان بصحة مذهبه وطريقته وصراطه من دليل وبرهان من ﷻ ورسوله، فقفوهم إنهم مسؤولون، وما أن يوضع الإنسان في لحده وقبره، إلا ويسأل من ربه؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك؟ فإنّه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية - كما ورد في الخبر النبوي الشريف المستفيض عند الفريقين السنة والشيعه - فكل مسلم في عقيدته وشرعه ومناسكه ونظامه في الحياة، يكون مسؤولاً يوم القيامة يوم الكشف الأتم، تنكشف الحقائق كما هي، وبصرك اليوم حديد ونافذ يرى ملكوت الأشياء.

وتعدّ المذاهب والفرقة والشقاق إنّما هو من الفتنة والامتحان، وإن كان منشأه من عمل الشيطان الرجيم، فإنّه أقسم بعزّة ﷻ سبحانه:

﴿لَأَعْلُو وَيَنْزَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْأُمُخْلَصِينَ﴾ [12].

وفي الخبر الشريف: الناس كلهم هلكت إلا العلماء، والعلماء كلهم هلكت إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكت إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

فالفرقة الناجية هي الصفوة المخلصة، ولا نستوحش في طريق الحق من قلاّة أهله - كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهجه -.

وأما في الدنيا فلا بد من الوحدة بين المسلمين، كما فعل ذلك رسول الإسلام محمد (صلى ﷻ عليه وآله). وإذا ورد عنه «اختلاف أمّتي رحمة»، فقد فسّر لنا ذلك الإمام (عليه السلام): إن الاختلاف بمعنى التزاور، وأن يختلف المسلم على أخيه المسلم في الزيارة، لا بمعنى الشقاق والفرقة، ويأتي الاختلاف أيضاً بمعنى طلب العلم.

«فَعَنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنَّ قَوْمًا رَوَوْا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: اخْتَلَفَ الْمُتَّبِعِيُّ رَحْمَةً. فَقَالَ: صَدَقُوا. قُلْتُ: إِنَّ كَانَ اخْتِلَافَ رَحْمَةٍ فَاجْتِمَاعَهُمْ عَذَابٌ؟ قَالَ: لَيْسَ حَيْثُ ذَهَبَتْ وَذَهَبُوا، إِنَّ مَا أَرَادَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَا وَلاَ زَافَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ» فَأَمْرُهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَيَخْتَلِفُوا إِلَيْهِ فَيَتَعَلَّمُوا، ثُمَّ يَرْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَيُعَلِّمُوهُمْ، إِنَّ مَا أَرَادَ اخْتِلَافَهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ، لَا اخْتِلَافًا فِي دِينِ اللَّهِ، إِنَّ مَا الدِّينِ وَاحِدٌ [13].»

هذا وقد ورد في الأخبار العلاجية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في الأخبار المتعارضة أن نأخذ ما وافق كتاب الله سبحانه، وما اشتهر بين أصحابنا، وما خالف من يخالفنا، فإنما الرشد في مقام العمل الفردي والشخصي وفي العبادات في ذلك، فعقيدتنا أن ما بأيدينا هو الحق، وإذا ورد في أخبارنا الخاصة عن أهل البيت (عليهم السلام) في مقام علاج الروايات الواردة عنهم المتعارضة «أن الرشد في مخالفتهم»، فإن هذا لا يعني أن نخالفهم، ونخلق المشاكل في الدول الإسلامية، حتى يكون السيف هو الحاكم بيننا، ومن ثم القتل والنهب.

الحقيقة، إننا المقصود متابعة الحق، وإذا ورد ما يوافق غيرنا وهو من الحق فإننا نتبعه، فإن الرشد أن نخالف الباطل في مقام العمل العبادي، وأما في مقام القضايا الاجتماعية وحسن المعاشرة والتعايش، فناهيك الروايات الكثيرة التي تأمرنا أن نحسن المعاشرة معهم ونعيش بسلم وسلام، فإن المسلم - من سلم المسلمون من يده ولسانه - وأن نحضر صلاتهم وجنازهم، وأن نكون لأئمتنا (عليهم السلام) زين، حتى يجعلوا الناس أماناتهم عندنا من خلال صدقنا وإيماننا وحسن معاشرتنا، حتى يقال رحم الله جعفر بن محمد الصادق، كيف أدب أصحابه وشيعته.

وكان الأمير (عليه السلام) يوصي ولده الحسن (عليه السلام) أن يحسن معاشرته ومجالسته مع اليهودي: «وإذا جالست اليهودي فأحسن مجالسته»، فبالأولوية أن نحسن المعاشرة مع كل المذاهب الإسلامية.

وهل يجوز لواحد من المسلمين أن يختلف مع أخيه المسلم من أي مذهب كان، والعدو يغزوه في عقر داره، وأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهجه يقول: «ذُلُّ قَوْمٍ غَزَا فِي عَقْرِ دَارِهِمْ».

أما حان للمسلم الغيور على دينه وإسلامه أن يتحد مع أخيه المؤمن، فإن المسلمون يد واحدة على من سواهم، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى الجسد كله، ومن سمع يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم [14] ! !

متى يتخلّق المسلم الرسالي بأخلاق نبيّه الأكرم:

﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [15].

ويراعي شعور المسلمين ويدع التناحر والتنازع ليجابه عدوّه المشترك، كالصهاينة العتاة المردة  
أبناء الكلاب والخنازير؟! !

مَنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَبِيَ دَعْوَةَ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [16].

فمن أهمّ العوامل المشتركة بين المسلمين في سلوكهم هي الأخلاق الحميدة، فنقتدي ونتأسّى برسول الإسلام  
وهديه، فإنّ الأخلاق المحمّدية بنظري من أفضل

الأصول الأوّلية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية، فإنّه كان يداري الناس حتّى الأعداء والمنافقين  
حتّى مدحه الله في قوله:

﴿وَإِنَّكَ لَءَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [17].

وكان يقول (صلى الله عليه وآله): أمرني الله بمداراة الناس كما أمرني بالفرائض.

وكما كان يجلس لصهره وأخيه وابن عمّه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) كان يجلس لباقي الصحابة  
وفيهم الفاسق والمنافق، والتأريخ يشهد بذلك.

وإذا قيل إنّما فعل ذلك ليشتدّ عود الإسلام وتقوى شوكته، لأنّه كان غريباً - آنذاك - فنقول: قد  
أخبرنا النبيّ الأعظم في قوله: سيعود الإسلام غريباً كما بدأ غريباً، ويومنا هذا غربة الإسلام  
المحمّدي الأصيل.

فأيّ بلد يحكم فيه الإسلام بكلّ قوانينه وأحكامه؟ وما أكثر البلاد الإسلاميّة التي تحكمها السياسات  
الطاغوتيّة، وعملاء الاستعمار، والاقتصاد الربوي، والقوّة العسكريّة الأجنبيّة، والثقافة المنحطّة

الغربيّة... أليس هذا يوم غربة الإسلام الأصيل ؟ ! !

ثمّ يا تُرى من ينتفع من اختلافنا ؟ أليس أعداء الإسلام ؟ أليس الاستعمار وأعداء المسلمين زرعو الخلاف في صفوفهم، ووحدتهم لنهب ثرواتهم وليسودوهم، تبعاً لسياسة (فرّق تسد) الاستعمارية.

أما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما اختلفت أُمَّة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها [18].

أما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): احذروا ما نزل بالأُمم قبلكم من المثالب

سوء الأفعال وذميم الأعمال فتذكّروا في الخير والشرّ أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم. فإذا تفكّرتم في تفاوت حالهم فالزموا كلّ أمر لزم العزّة به شأنهم وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية به عليهم وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلمهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للألفة والتحابّ عليها والتواصي بها. واجتنبوا كلّ أمر كسر فِقرتهم، وأوهن منّتهم، من تضاعن القلوب وتشاحن الصدور وتدابير النفوس وتخاذل الأيدي. وتديّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم... فانظروا كيف كانوا، حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة. ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين وملوكاً على رقاب العالمين ؟ ! فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أُمورهم حين وقعت الفرقة وتشدّت الألفة واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعّبوا مختلفين وتفرّقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين [19].

وقال (عليه السلام): إنّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممّن مضى ولا ممّن بقي.

إنّ الشيطان يسنّي لكم طرقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدةً عقدةً، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدقوا عن نزاعاته ونفثاته.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا.

أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرّقين ؟ إنّما هلك من كان قبلكم الفُرقة [20].



أتعلم أيّها القارئ الكريم إنّما الاختلاف عذاب من الله سبحانه لقوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْدِعَ تَحْتَ يَدَيْهِ عِلًّا يَكْفُرُ بِهِ عِبادًا مِّنْ فَوْءِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يُنَزِّلُ سَحَابًا مِّنْ سَمَاءٍ أَوْ يُضيقُ بِكُمْ مَنَازِلَ بِأَسْفِلِ الْعُزْمِ﴾ [21].

قال الإمام الباقر (عليه السلام) - في قوله ﴿أَوْ﴾ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴿﴾ -: وهو اختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض ﴿﴾ وَيُضيقُ بِكُمْ مَنَازِلَ بِأَسْفِلِ الْعُزْمِ وهو أن يقتل بعضكم بعضاً ، وكلّ هذا في أهل القبلة .

وإن سألت عن سبب الفرقة فقد قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): إنّما أنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بينكم إلاّ خبث السرائر وسوء الضمائر ، فلا تزاورون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون .

«لو سكت الجاهل ما اختلف الناس» .

«سبب الفرقة الاختلاف» .

وكفانا في الأخلاق المحمّدية ، وتأثيرها في الوحدة الإسلاميّة ، دعاء (مكارم الأخلاق) لحفيده زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في صحيفته السجّادية جاء فيها: «... اللهم صلّ على محمد وآله ، وسدّ دني لأنّ أعارض من غشّني بالنصح وأجزني من هجرني بالبرّ وأثيب من حرمني بالبذل وأكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني إلى حُسْنِ الذكر ، وأن أشكر الحسنه وأغضي عن السيئة . اللهم صلّ على محمد وآله وحرّلي بحلّية الصالحين وألبسني زينة المتّقين في بسط العدل وكظم الغيظ وإطفاء النائرة وضمّ أهل الفرقة - وهذه من آيات الوحدة الإسلاميّة من لسان الإمام السجّاد (عليه السلام) - وإصلاح ذات البين وإفشاء العارفة وستر العائبة ولين العريكة وخفض الجناح وحسن السيرة وسكون الريح وطيب المخالفة والسبق إلى الفضيلة وإيثار التفضّل وترك التعبير والإفضال على غير المستحقّ ، والقول بالحقّ وإنّ عزّ ، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي ، وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة ورفض أهل البدع ومستعملي الرأي المخترع...» .

ولا يخفى أنّ هناك المئات من الأدلّة والشواهد القرآنية والروائية وسيرة النبيّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) وأصحابه الأبرار رضي الله عنهم ، وكيف كان بعضهم يتنازل عن حقوقه الشخصيّة حفاظاً على الوحدة الإسلاميّة ، ولنا فيهم القدوة والأُسوة الحسنه ، والاختلاف

في يومنا هذا بين السنة والشيعه إنَّما هي ضجَّة مفتعلة، يطبَّل لها الاستعمار، ويروج لها الاستكبار، وعلى كلِّ مسلم واع رساليٌّ أن يفتنِّد مخططاتهم، ويتَّحد مع أخيه المسلم في كلِّ أقطار الأرض.

شعاره (الوحدة الإسلامية) وسلوكه (الأخلاق المحمّدية) ويتلافى نقطة الضعف الرئيسية في موقف المسلمين تجاه أعدائهم، وهي تتبلور في اختلافهم وتفرُّقهم وتفكُّك أوامر الوحدة والمحبة والمودة. ولا بدُّ لنا من احترام الآراء، والاحترام المتبادل بين المسلمين، وإبراز المشتركات والقضايا الرئيسية بين المسلمين، وإعطاء الحرية، فإنَّ المسلم من حقِّه أن يمارس حرِّيته وحقوقه السياسية والمدنية، فيمكنه أن يعبِّر عن نقده وآرائه وفهمه للحياة. وذلك من خلال الأخلاق الفاضلة، التي هي عبارة عن مجموعة من المبادئ التي ينبغي أن يجري السلوك الإنساني على مقتضاها، فترسم طريق السلوك الحميد، وتحدِّد أهدافه وبواعثه. فيكون مستقيماً في قصده وفعله، بعيداً عن الهوى واتِّباع النفس الأمّارة بالسوء، يتعلَّم ذلك من كتاب الله وسنة نبيِّه وآله الأطهار وصحبه الأخيار، والعقل والمشاهدة والفطرة السليمة وجوهر الإنسانية.

فالأخلاق الإسلامية دورها في تحكيم الوحدة ممّا لا ريب فيه، ومذهبنا يأمرنا بالاعتصام والاتِّحاد من عدَّة منطلقات، متَّخذاً من القرآن الكريم شعاراً له عملياً، لنكون قوّة واحدة لإبراز الكلمة الواحدة أمام العدوَّ المشترك الواحد - والكفر ملّة واحدة - الذي بات يهدِّد كياننا الإسلامي. وأنَّ الكثير من الموضوعات والحيثيات والمعتقدات، هي القاسم المشترك بين المذاهب، في أصول الدين كالوحدانية وصفات الربوبية، وفروع الدين كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ، فالكعبة واحدة، وشعائرها موحّدة، والموقف واحد. كما أنَّ العمل الجهادي في عصر الصحوة الإسلامية والأهداف المتمثّلة بردع الظالم ومحاربة الطغاة، سواء بالقلم أو بالسيف أو بكليهما من المنطلقات التي تُحتّم على المسلمين وعلمائهم أن يبادروا بخطوات إصلاحية الوحدة بين المذاهب الإسلامية.

فالوحدة الصادقة مطلوبة، وبها يتحقّق حلم المسلمين في تكوين دولة واحدة، يتزعمها العلماء المجاهدون والقادة الصالحون، لنعيد مجدنا وعزّتنا، ونظهر قوّةنا، في العُدّة والعدد، لنرهب بها أعداءنا.

وعليّنا أن نشمّر عن سواعد الجدِّ، لنبدأ الحياة السعيدة والعيش الرغيد تحت ظلِّ الإسلام من جديد، فعدوُّنا المشترك جاء إلى بلادنا مستغلاً ثرواتنا، وداس مقدّساتنا، وخلفّ فينا شرارنا يتأمّرون ويتأمرون علينا، متّبعين سياسة الفرقة وزرع الخصام.

وقد بادرت الجمهورية الإسلامية منذ يومها الأوّل إلى الوحدة الإسلامية من منطلق العقل والكتاب والقوّة والاعتدال، لا الضعف والافتقار والإجبار. واعتبرت (12-17 ربيع الأوّل) من كلّ عام أسبوعاً للوحدة بين المسلمين كافّة، تقيم فيه المؤتمرات وتستضيف علماء المذاهب والشخصيات والحركات الإسلامية لمدارسة أمور المسلمين وحلّ مشاكلهم العالمية، وتجدد خطوة إلى التقدّم والازدهار، وتضع خطّة أخرى على ما يستجدّ على الساحة الإسلامية.

فبارك الله في المساعي الحميدة والخطوات المجيدة، وعلى الدول الإسلامية أن تقتدي بفعالها الحسن، والأرض يرثها عباد الله الصالحون، والعاقبة للمتّقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين[22].

[1] المصدر: 11، من حديث القائد لأعضاء مؤتمر القدس 27 رمضان 1400 هـ.

[2] المصدر: 13، من بيان الإمام إلى الحجّاج سنة 1400 هـ.

[3] المصدر نفسه، من حديث الإمام لعشائر خوزستان سنة 1401 هـ.

[4] المصدر: 14.

[5] المصدر: 15.

[6] المصدر: 34، من نداء الإمام للحجّاج 1399 هـ.

[7] من رسالة الإمام إلى خالد بن عبد العزيز 1401 هـ.

[8] من حديث الإمام لسفراء البلدان الإسلامية 1400 هـ.

[9] من حديث القائد في مطلع القرن الخامس.

[10] التوبة: 119.

[11]البقرة: 111.

[12]الحجر: 40.

[13]ميزان الحكمة 3: 77.

[14]هذه مضامين روايات نبويّة اتّفُق عليها الفريقان السنّة والشيعة.

[15]الأحزاب: 21.

[16]آل عمران: 104.

[17]القلم: 4.

[18]ميزان الحكمة 3: 74، عن كنز العمّال، الحديث 929.

[19]نهج البلاغة، الخطبة 192 القاصعة.

[20]ميزان الحكمة 3: 75.

[21]الأنعام: 65.

[22]طبع هذا الموضوع أوّلاً من قِبَل المؤتمر العالمي السابع للوحدة الإسلامية المنعقد في طهران، ربيع الأوّل سنة 1415، فارتأينا تجديد طبعه مع تنقيح وتصحيح من المؤلّف، لتعمّ الفائدة، ويتمّ المطلوب، ومن الله التوفيق والسداد.